**المحاضرة 4 + 5 لطلاب السنة الثالثة – قسم الفلسفة – مادة تاريخ الفلسفة الحديثة – الدكتورة سوسان الياس**

* **تحليل المبادئ:**

بعد أن تناول كانط – وضمن التحليلات المتعالية – تحليل المقولات مبيناً كيفية اشتقاقها من جدول الأحكام والخصائص التي تتسم بها، إضافة إلى تبيان القيمة الموضوعية لتلك المقولات أو المفاهيم وكيفية انطباقها على مدركات الحساسية، ينتقل إلى تبيان أن اتحاد عمل الفهم والحساسية يقتضي أن يكون هنالك في التصورات الخالصة للفهم ما يجعلها قابلة من جهتها لأن تنطبق على موضوعات التجربة، لأن الرسوم التخطيطية للمخيلة يقتصر عملها على بعث مقولة معينة دون تبرير تطبيق هذه المقولة على الموضوعات المدركة حتى تمتلك قيمة موضوعية، والعنصر الذي يحقق هذه الغاية هو ما يدعوه كانط بالمبادئ، هذه المبادئ هي قواعد صادرة عن الفهم والتي تبين الكيفية التي تنطبق بها. ولوحة المقولات ترشدنا بصورة طبيعية إلى لوحة المبادئ حيث أن هذه الأخيرة ليست سوى قواعد الاستعمال الموضوعي للمقولات.

والمبدأ الأعم لعمل المقولات هو "أن كل موضوع خاضع بالضرورة لشروط الوحدة التأليفية لكثرة الحدوس في تجربة ممكنة" . وهناك لائحة رباعية للمبادئ مثلما الأمر بالنسبة للمقولات.

1. مقولات الكم تعطينا ما يدعوه كانط "بمسلمات الحدس" ومبدأها: كل الظواهر، من وجهة نظر حدسها، هي مقادير ممتدة. وهذا لأن تعيين الظواهر في المكان والزمان معناه تعيينها كمقادير ممتدة ويسمي كانط الكمية الممتدة بأنها تمثلٌ للأجزاء يسمح بإمكانية تمثل الكل، فإنني لا يمكن، مثلاً، أن أتصور خط، مهما كان قصيراً، دون تصوره انطلاقاً من نقطة معينة ومن إضافة أجزاء منه إلى الأخرى، كما لا يمكنني تصور مدة من الزمان دون أن أتصور تتالي للحظات التي تكوّن هذه المدة الزمانية.
2. أما مقولات الكيف، فالمبادئ التي تصدر عنها هي "استباقات الادراك"، والمبدأ الذي يلخصها هو: "في جميع الظاهرات، الواقعي الذي هو موضوع الإحساس، هو ذو مقدار له كثافة أي درجة". فليس في نظر كانط إحساس بواقع ما في الظاهرة (الشيء) دون أن يكون له درجة من الشدة يؤثر به على حواسنا ليحدث فينا إحساسات، واختلاف الوقائع أو الأشياء بهذه الدرجة يؤدي إلى اختلاف في إحساساتنا، فمثلاً الصوت كواقعة له درجات مختلفة للتأثير على حواسنا، فهناك صوت خافت، مرتفع، والضجيج. وهذا ينطبق على الحرارة والثقل... إلخ.

هذان المبدأان خاصّة الكم والكيف يبرران تطبيق الرياضيات على العالم الطبيعي، واليقين فيهما حدسي.

1. أما المبادئ التي تصدر عن مقولات العلاقة (الإضافة) فيدعوها "بمماثلات التجربة" ومبدأها العام: كل الظواهر تخضع، من حيث وجودها، وبصورة قبلية، لقواعد تعيّن العلاقات القائمة بينها في الزمان. وهي ثلاثة مماثلات للتجربة:

**الأولى:** تتعلق بمبدأ دوام بقاء الجوهر في الزمان حيث الجوهر باقٍ رغم تعاقب الظواهر وكميته لا تزيد ولا تنقص (الجوهر لا يتغير).

**الثانية:** تتعلق بأن العلاقات التي تربط الظواهر في الزمان تتم وفق تعاقب منتظم بحيث أن جميع التغيرات الحاصلة تقع وفقاً لقانون الترابط العلّي.

**أما المماثلة الثالثة:** فيمكن تلخيصها بأن جميع الظواهر باعتبارها متآنية في الزمان فهي في حالة تفاعل دائم.

1. وأخيراً فيما يقابل مقولات الوضع (الجهة) من حيث المبادئ فيدعوها كانط "مصادرات التفكير التجريبي بعامة" وهناك مصادرات ثلاثة:
* تقابل المصادرة الأولى مقولة الإمكان وهي "كل ما يتفق والشروط الصورية للتجربة (بالنسبة للحدس والمقولات)، فهو ممكن.
* أما المصادرة الثانية فتقابل مقولة (الوجود – العدم) ومفادها "كل ما يتفق والشروط المادية للتجربة (الإحساس)، فهو واقعي "فإذا كانت الصور والحدوس الخالصة تحدد إمكان التجربة فلابد من وجود مادة أمام هذه الصور وتلك الحدوس، حتى تصبح التجربة واقعية. وهذا يعني – بحسب كانط – أنه انطلاقاً من مفهوم موضوع من الموضوعات لا يمكن أن نستنتج وجود هذا الموضوع، كما كان المثاليون يتصورون ذلك. وهذا ينطبق على الميتافيزيقا لأن أصحابها استطاعوا أن يتوصلوا ويبرهنوا على وجود الأشياء أو الكائنات انطلاقاً من مفاهيمنا عنها (ديكارت ومدرسته).
* وتتعلق المصادرة الثالثة بمقولة الضرورة والجواز وهي "كل ما يتحدد متفقاً مع الوجود الواقعي تبعاً للشروط العامة للتجربة، فهو ضروري".

فليس هناك من صدفة في الطبيعة، وإنما وجود الأشياء ضروري.

هذه المبادئ المقابلة لمقولتي الإضافة والجهة يسميها كانط "مبادئ دينامية" وهي مبادئ الحركة والتغير في العالم الطبيعي، واليقين فيها استدلالي غير مباشر.

**الخلاصة** التي نصل إليها من "التحليلات المتعالية بشقيها "تحليل المقولات" و "تحليل المبادئ" "، أن الذهن عن طريق مبادئه القبلية (مقولات ومبادئ الفهم) يخلق النظام والانسجام في الطبيعة، فهي تمثل شروط الفكر العامة التي يمكن أن نتصور وجود الأشياء عليها، لأن شروط وقوانين الطبيعة إنما هي شروط الفكر ذاته وقواعده. وهنا تكمن ثورة كانط الكوبرنيكية التي قلبت موازين التفكير وجعلت الأشياء تدور حول الفكر، وليس كما كان الاعتقاد أن الفكر يدور حول الأشياء.

والأمر الآخر أن معرفتنا العلمية لا تطال سوى الظواهر، وهي الواقع كما يتجلى للإنسان، أي كما يبدو في حدود قدرته المعرفية، أما الواقع كما هو في حقيقته. أو ما يسميه كانط "الشيء في ذاته"، فإننا نجهله، ما يعني محدودية قدراتنا المعرفية والتي هي منحدرة من الحدود المحاثية للذهن نفسه.

**نقد العقل الخالص – قضايا الميتافيزيقا:**

ويدرسها كانط تحت مبحث "الجدل المتعالي"، حيث يبين فيه أخطاء وأوهام العقل في إنشاء الميتافيزيقا كعلم بالأشياء، كما يتبدى واضحاً ذلك في ميتافيزيقا ديكارت وليبنتز، حيث العقل باعتقادهم مؤهل، بامتلاكه صور للوجود للانتقال إلى أصولها الموضوعية.

وإذا كان الفهم يمثل القدرة على الربط والتوحيد بين الظواهر الحسية بواسطة المقولات وتركيبها في قضايا (أحكام)، فإن العقل الخالص هو القدرة التي تهتم بالقضايا الميتافيزيقية التي تجاوز حدود نطاق التجربة، أي تجاوز حدود معرفتنا البشرية المحدودة ضمن إطاري الزمان والمكان. وإذا كان محور الذهن (الفهم) هو المفهوم، فإن محور العقل هو الفكرة أو "المفهوم العقلي". وهناك ثلاثة أفكار حسب كانط هي: النفس – العالم – الله.

وإذا كان الذهن ينزل مقولاته على أشياء الطبيعة ويدخل النظام فيها، فإن العقل ينزل هذه المقولات عينها في مجال ما وراء الطبيعة وينظر في ظواهر غير مادية كالنفس والله وهنا يرتكب العقل أخطاء وأوهام حيث يحاول جهده التركيب والتوحيد في ما يتجاوز التجربة الحسية، فيذهب بغير وجه حق – بنظر كانط – من الأشياء كما تبدو في صورنا الفكرية إلى أصولها أي الأشياء كما تبدو في ذاتها، فيقع عندها العقل في تناقضات يحاول الكشف عنها كانط في الجدل المتعالي.

بداية يحدد كانط وظيفة العقل الخالص (أو كما يسميه ملكة النطق) بالاستدلال بواسطة الأقيسة الثلاث المعروفة: القياس الاقتراني (الحملي)، الشرطي المتصل، الشرطي المنفصل، ولكنه يستعمل هذه الوظيفة على نحوين:

1. نحو منطقي مشروع: حين يدرج حدس (مقدمة صغرى مشروطة) تحت قاعدة، أي يرد معرفة جزئية إلى معرفة أخرى كلية باعتبار هذه شرطاً لتلك، وهذا الفعل العقلي الذي يؤدي إلى سلسلة استدلالات إن كان لجهة الشرط، أو لجهة المشروط تتابع هكذا إلى أبعاد غير متعينة (لا متناهية).
2. على نحو مفارق: على العكس يعتبر العقل سلسلة الشروط (المقدمات) جملة تامة متناهية، أي لا بد لها من حد يتضمن دائماً جملة الشروط، فيمضي العقل في توحيد المعرفة حتى يصل إلى المطلق الذي يقع خارج سلسلة الشروط (نقطة انطلاق كشرط أعلى) مدعياً أن سلسة الشروط تلك صحيحة ليبرهن على صحة المشروط (المعرفة الجزئية)، أو أن العقل يمضي من وجود تجريبي لا إلى وجود يقع داخل التجربة، بل إلى وجود أخير يجاوز حدود التجربة يدعوه كانط "باللامشروط" أو الشرط الأعلى الذي لا شرط أو علّة له. لكن العقل يرتكب خطأً كبيراً. فوظيفته التحليلية هو أن المشروط دائماً يفترض شرطاً. والمبدأ الذي يصعد بموجبه العقل من المشروط إلى اللامشروط، هو مبدأ تركيبي يجاوز مجال المنطق الصرف. وهو أيضاً أولي لأن التجربة لا تعطينا مبدأ أول، والحكم التركيبي الأولي يفترض أو يشتمل مادة أو حدس حسي ليكون مقبول، فاستدلال العقل هنا عبث سيتبين حقيقته كانط في نقده لجوهرية النفس ونقائض العقل واعتراضاته على براهين وجود الله. وإذا ما نظرنا في تلك الاستدلالات فإننا نصل:
* عبر القياس الحملي الاقتراني (إسناد كيفية إلى جوهر) إذا استخدم بالفحص عن المطلق (وهي مهمة العقل الخالص في ظواهرنا الوجدانية). إلى فكرة الأنا كجوهر.
* أما القياس الشرطي المتصل (تعليق مشروط على شرطه) إذا استخدم للفحص عن العلّة المطلقة للعلل الطبيعية وصلنا إلى فكرة العالم بمجمله.
* والقياس الشرطي المنفصل متى استخدم للفحص عن الشرط المطلق لجميع موضوعات الفكر وصل إلى العلة المطلقة أو الموجود الأعظم وهو الله.

 ويسمي كانط استدلالات الصنف الأول "بمغالطات العقل الخالص" وفيه عالج قضايا السيكولوجية العقلية وانتقد مشروعها. فأكد أن السيكولوجيا العقلية تبرهن على وجود النفس كجوهر ابتداءاً من الأنا أفكر، وتعيّن ماهيتها بتطبيق المقولات على الأنا أفكر فتصل إلى أن النفس بسيطة وأنها شخصية تبقى هي هي رغم التغيرات الطارئة عليها وأنها خالدة، وهي بذلك ترتكب أربع مغالطات يشتمل كل منها على أربعة حدود لأن الحدود في القياس تُأخذ بمعنيين متغايرين. ومغالطة القول بجوهرية الأنا أفكر يعرضها الاستدلال التالي:

" ما لا يمكن أن يتصور إلا كذات لا يوجد أيضاً، إلا كذات وهو إذن جوهر.

 والحال أن الكائن المفكر بما هو كذلك لا يتصور إلا كذات.

 إذن إنه لا يوجد إلا كذات، أعني كجوهر".

هذا القياس خاطئ لأنه في المقدمة الكبرى يدور الحديث عن الذات على أنه كائن يفكر بعامة. أي ذات تدرك وذات تكون موضوع إدراك كما يعطى في الحدس. وفي المقدمة الصغرى لا يدور الحديث عن الكائن نفسه لا من حيث أنه موضوع إدراك لأن الأنا أفكر لا يتضمن موضوع فكر، بل يعني فقط الوحدة الضرورية للإدراك الواعي، فالأنا أفكر هو الصورة التي تجمع ظواهر الوجدان في فكر واحد بعينه وليس هناك حدس بنفسنا كذات مفكرة. فإن طبقنا المقولات على الأنا أفكر (كمقولة الجوهر هنا) كان هذا فعلاً منطقياً صرفاً خالياً من أية قيمة موضوعية، لأن المقولات لا تطبق تطبيقاً موضوعياً إلا على الحدوس الحسية. فلا يبرر الانتقال من وحدة الإدراك الواعي (وحدة الفكر) كشرط منطقي صوري إلى وحدة جوهر موجود قائم بذاته وعندها لن يحمل هذا الأنا أفكر بساطة الجوهر وأنه هو بعينه.

وبالتالي تنهار السيكولوجيا العقلية بنظر كانط كعلم كما قدمتها الميتافيزيقا التقليدية.

**نقائض العقل الخالص – نقد الكسمولوجيا العقلية**

يعتقد كانط أن الفكرة الكونية هي أكثر الأفكار تأثيراً وفاعلية في إيقاظ الفكر الفلسفي من سباته الدوغماتي الزائف. لذلك أولاها أهمية في الجدل.

في هذا التصنيف من استدلالات العقل الخالص، يحاول الربط بين الأشياء الموجودة في الزمان والمكان في وحدة مطلقة فينتج فكرة العالم ككل، ويستخدم العقل أربع أقيسة يسميها كانط القضايا يدلل فيها العقل على أنها موضوعية تعبر عن واقع موجود وفيها يتم الانتقال من المعاني كما هي في الفكر كصور بحتة إلى أشياء تقع خارج نطاق الفكر. بينما الفهم يبرهن على قضايا هي نقائض الأولى فيقع العقل في التناقض. والفهم والعقل يؤلفان ذهننا وهما متعارضان وهذا التعارض واضح في القياس التالي:

"حين يوجد المشروط توجد سلسلة شروط بأكملها،

المشروط موجود.

إذن سلسلة شروطه موجودة".

هذا القياس خاطئ لأنه يحتوي على أربعة حدود: ففي المقدمة الكبرى المشروط مأخوذ باعتباره موضوعاً معقولاً مستقلاً عن شروط الحساسية والحدس (وهذه حال القضايا كلها). أما في المقدمة الصغرى المشروط مأخوذ باعتباره العالم الظاهري الماثل في حدسنا (نقائض القضايا)، فبأي حق نستدل بحد أوسط ذي معنيين وننتقل من الظاهرة إلى الشيء في ذاته.

يضع كانط قائمة بأربع نقائض هي:

**(القضايا)**

1. من حيث الكم: للعالم بداية في الزمان وهو محدود في المكان.
2. من حيث الكيف: كل جوهر مركب في العالم، فهو مركب من أجزاء بسيطة ولا يوجد في العالم إلا ما هو بسيط أو مركب من أجزاء بسيطة.
3. من حيث الإضافة: السببية الطبيعية ليست السببية الوحيدة التي نرجع إليها ظواهر العالم، ومن الضروري كي نفسرها أن نسلم بوجود عليّة حرة.
4. من حيث الجهة: العالم المحسوس يتعلق بموجود ضروري سواء أكان جزءاً منه أو كان علّة مفارقة له.

**(نقائض القضايا)**

1. ليس للعالم بداية ولا حد، ولكنه لا متناه من حيث الزمان والمكان.
2. لا شيء مركب في العالم من أجزاء بسيطة، ولا يوجد في العالم شيء بسيط.
3. ليس ثمة حرية، بل كل شيء في العالم يحصل وفقاً لقوانين الطبيعة.
4. ليس يوجد موجود ضروري سواء في العالم أو خارج العالم باعتباره علّته.

تبرز هذه النقائض عدم الانسجام بين مجال البحث التجريبي وادعاءات العقل الخالص في أفكاره، فالقضايا تمثل العالم محدوداً، لكنه مع ذلك معتمداً على أفكار التناهي والمطلق. والنقائض تدمج لا تناهي العالم مع المطلق.

سنتوقف هنا عند التناقض الثالث لأهميته في شرح الاختلاف في طبيعة السببية بين العقل الخالص والفهم بحسب منظور كل منهما لرؤية العالم.

القضية الثالثة: برى كانط أن العقل الخالص يدلل على صحة هذه القضية: بأن تفسير الظواهر بالعلية الطبيعية يعني أن المعلول يحدث نتيجة علة سابقة عليه وهكذا في تسلسل علّي إلى ما لانهاية، فإذا كانت هذه العلية هي الوحيدة انتهينا إلى القول بسلسلة لا متناهية من العلل لتحديد حدوث الظاهرة وهذا محال، إذن لابد من أن تكون سلسلة العلل تامة أي متناهية ومن ثم يجب التسليم بعلية حرة ترجع إليها سلسلة حدوث الظواهر بحسب قوانين الطبيعة.

نقيض القضية الثالثة: "ليس هناك من حرية وكل شيء في العالم يحدث بحسب قوانين طبيعته" يدلل أصحابها على أن بداية فعل أو حدوث تفترض في العلّة حالة من السكون تسبقها، أي لا تكون فيها العلة فاعلة، فإذا صارت العلة إلى حالة الفعل يعني أنها صارت إلى حالة لا تربطها بالحالة السابقة علاقة عليّة وإنما كان فيها حالتان متعاقبتان ليس إلا. ولكن لكل ظاهرة علة إذن الحرية معارضة لقانون العلية.

هذا التناقض يتناول مسألة الخلق وفيه أصحاب اللاهوت والنظر العقلي يمثلون القضية. بينما نقيض القضية يأخذ به الماديون الذين لا يؤمنون بخلق العالم وحدوثه. والعقل بينهما يقع في حيرة وتناقض هو سمة لموضوعاته المجردة. وكانط لا يضع العقل في حيرة دائماً. فالقضايا ونقائضها على مستوى الكم والكيف غير صحيحتين لأنها تذكر العالم وكأنه شيء بالذات وهو ليس كذلك في حدسنا،فلا نعلم إن كان متناهياً أو لا متناهياً، أو إذا كانت المادة مركبة من أجزاء بسيطة أم لا.

أما القضايا ونقائضها على مستوى الإضافة والجهة فكلاهما صحيح: النقيضان يصلحان بالنسبة للعالم كما هو ماثل في حدسنا. والقضيتان صادقتان بالنسبة إلى العالم كما هو في ذاته، قد يكون هناك أشياء بالذات ومن الممكن تصور عالم معقول وإن كنا لا ندرك كنهه ويكون إمكان عليّة حرة شرطاً وسبباً للعلية الطبيعية كعلّة لها.

**المثل الأعلى للعقل الخالص – نقد فكرة وجود كائن أسمى للعالم**

فكرة الكائن الأول بخلاف الفكرتين السابق تين (النفس، العالم) العقل لا يبدأ من التجربة فهو لا يميل إلى متابعة سلسلة الشروط (المبادئ) حتى تكتمل بصورة مطلقة، وإنما يُحدث انعطافاً كاملاً في السلسلة في مفارقتها لما يغايرها.

إن العقل في استدلالاته على هذا المستوى يدعي وجود موجود ضروري كعلّة أولى لهذا العالم. وبنظر كانط يمكن أن تظهر فكرة زائفة عن الله من خلال "التمثل الأعلى للعقل الخالص" من خلال الاستدلال عن طريق الانطولوجيا والكسمولوجيا واللاهوت العقلي، وهذا ما أتى عليه الميتافيزيقيون التقليديون في تدليلهم على وجود الله.

1. الدليل الانطولوجي يشق طريقه من تصور قبلي عن وجود أسمى (ديكارت – أنسلم)
2. الدليل الكوسمولوجي ينطلق أصحابه من طبيعة العالم التجريبي إلى علّة أولى هي موجود ضروري.
3. دليل اللاهوت العقلي يبدأ من ظواهر الطبيعة الجزئية ونظامها إلى علّة أولى كغاية لهذا النظام.

يفند كانط هذه الأدلة التي يقدمها العقل الخالص حول فكرته عن كائن سامي هو الله مبيناً استحالة تقديم برهان عقلي على وجود الله:

فالبرهان الأول عقيم لأنه ينتقل من التصور إلى الوجود معتبراً أن الوجود محمولاً ذاتياً يمكن أن نضيفه إلى التصور لأن الوجود تحقق ماهية، والوجود المثبت في البرهان الانطولوجي هو الموجود المتصور. وعلى مستوى التصور ليس هناك فرق مثلاً بين ريالات حقيقية وريالات زائفة، ولكن الوجود كما عرفنا هو تحقق ماهية فكيف يصار إلى إضافة الوجود إلى معنى أو تصور الموجود الكامل؟.

أما البرهان الثاني يعترض عليه كانط من حيث أن هذا الموجود الضروري ليس بالضرورة هو الله لأنه يمكن أن يكون العالم كجملة أو المادة، فالموجود الضروري ليس هو الموجود الكامل.

وبالنسبة للبرهان الثالث يقول كانط أنه لاقى استحساناً بين البشر. لكن الدليل يشبه غائية الطبيعة بغائية الفن، مع العلم أن بينهما فارق واضح: ففي الفن المادة والصورة متغايران. فالمادة بحاجة لمن يطبعها بالصورة (مثلاً حجر المرمر مادة تحتاج إلى الصورة التي يطبعها الفنان عليها لتصبح تمثالاً)، أما في الطبيعة فلا بد من برهان خاص يدل على أن الطبيعة عاجزة بذاتها على أحداث النظام فيها، والشيء الثاني إذا سلمنا بهذا الشبه فما نصل إليه هو أن صورة العالم هي الحادثة من خلال النظام المفروض وليس مادته مما يؤدي بنا إلى إله مصور للعالم لا إله خالق لمادته.

والحقيقة أن كانط بقي شاكأ في تقديم معرفة سواء بالنسبة لوجود الله أو عدم وجوده. فمن أي مصدر سوف يستمد المفكر الحر معرفته التي يعلنها بأنه يوجد موجود سامٍ؟ إن هذه القضية تقع خارج نطاق كل تجربة ممكنة ومن ثم فهي تقع خارج الرؤية البشرية "إن أعظم استخدام وربما كان الوحيد.... لكل فلسفة العقل ليس له سوى جدارة واحدة ومتواضعة هي الاحتراس من الخطأ" وهذا يتم عندما يخضع العقل للنقد ومن خلال النقد تظل مشكلة الترانسندنتالي باقية، وما يعطيه العقل من ذاته للفهم يظل ذا قيمة.

**الخلاصة:**

على مستوى الجدل المتعالي تبين استحالة قيام أية ميتافيزيقا نظرية أو معرفة يقينية بموضوعات تجاوز حدود المعرفة البشرية. والميتافيزيقيون امتدوا بأفكارهم إلى ما يجاوز حدود العقل البشري فاستخدموا أفكاراً متعالية غير مشروعة. غير أن كانط بالرغم من ذلك لا ينكر الميتافيزيقا ولكن ليس بمقدور العقل البشري الوصول إلى معرفة وإدراك ماهية موضوعاتها. ولكنه أنكر أيضاً على التجربة الحسية كل وظيفة انطولوجية لأن الحس يقول ثمة شيء وليس بمقدوره التوصل إلى حقيقته "إن الأشياء التي ندركها ليست في ذاتها على نحو ما ندركها"

لقد وقف كانط ضد محاولات الميتافيزيقيين استنباط الوجود استنباطاً أولياً منطقياً حيث ميّز بين الفكر والوجود وجعل الميتافيزيقا مدار بحث عملي هو الأخلاق، فهي بمثابة الأرض الخصبة التي تنمو عليها المبادئ العلمية، فالميتافيزيقا تستمد سلطتها بحسب المبادئ المطلقة من ارتباطها بالناحية العملية، لكن هذا لا يمنع أن للميتافيزيقا كما تصورها جانب نظري حدده بالبحث في الشروط والعناصر الأولية التي تجعل المعرفة ممكنة.